

الامامة والسياسة

[153] وصنع ما وصفت ؟ قال يا بني: وما علي أن أعفو عن أكرمنى الله على يديه ، وأرجو أن يغفر لي بصنيعته بى إن شاء الله . عليك يا بني بتقوى الله العظيم وطاعته ، فاتخذها بضاعة يأتيك الربح من غير تجارة ، وأوصيك بإخوتك خيرا ، وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، اقبل حسناتهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، واغفر زلاتهم ، وأوصيك بأهل الحرمين خيرا ، فقد علمت من هم ، وأبناء من هم ، أجزل لهم العطاء ، وأحسن لهم الجزاء ، يكافئك الله في الآخرة والاولى . ثم توفى المهدي من يومه ذاك ، واستخلف الرشيد ، وخرج إلى الناس يبايعهم بوجه طلق ولسان سلط (1) ، فبايعوه ببغداد ، وذلك يوم الخميس من المحرم سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وتمت له البيعة يوم الجمعة في المسجد الجامع ، فلم يختلف عليه أحد . ولا كره خلافته مخلوق ، فأحسن السيرة ، وأحكم أمر الرعية ، وكان أوحد أهل بيته ، ولم يشبهه أحد من الخلفاء من أهله ، رحمه الله . قدوم هارون الرشيد المدينة قال: وذكروا أنه لما كانت سنة أربعة وسبعين ومائة ، خرج هارون حاجا إلى مكة ، فقدم المدينة زائرا قبر النبي عليه الصلاة والسلام ، فبعث إلى مالك بن أنس ، فأتاه ، فسمع منه كتابه الموطأ ، وحضر ذلك يومئذ فقهاء الحجاز والعراق والشام واليمن ، ولم يتخلف منهم أحد إلا حضر ذلك الموسم مع الرشيد وسمع وسمعوا من مالك موطأه الذي وضع ، وكان قارئه يومئذ حبيب كاتب الرشيد . فلما أتم قراءته قال هارون لفقهاء الحجاز والعراق: هل أنكرتم شيئا من هذا العلم ؟ قالوا: ما أنكرنا شيئا إلا ما ذكر من أمر الدماء ، والتدمية في القتل ، فإن هذا من أنكر ما يكون من العلم وأبطله ، يقول الرجل: قتلني فلان فيقبل منه ، ويحلف أولياؤه على القاتل خمسين يمينا ، ثم يقتل ، ولعل أولياءه لم يحضروا ، ولم يكونوا بمصر ، فيعرض بهم الحنث في الايمان ، فيقبل قول رجل على غيره ، وهو لا يقبل في ربيع دانق (2) يدعيه إلا ببينة تقوم ، إن هذا لهو الضلال . وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه ابن عباس حيث قال: " لو يعطى

(1) اللسان السلط: الطويل ، والمراد بذلك

الفصاحة . (2) الدانق: بفتح النون: سدس الدرهم . (*)